أشعلوا الوعي.. ينطفىء الرماد..

لم يعد هناك ما يدعو إلى الشك في قيام مخطط تآمري يستهدف مستقبل الأمتين: العربية والاسلامية، وإلاّ فما معنى أن تذكى بهذا الحماس نار الطائفيات والقوميات داخل الجسد الذي كان واحداً والذي لم يعد ينذر إلاّ بالتداعي والانهيار.

إنه يكثر. منذ مدة. الحديث عن الفرعونية. والفينيقية. والبربر. والاكراد والشيعة والسنة الخ... وفي كل يوم جديد يضاف إلى هذا الاشتعال قليل من الهواء وقليل من الزيت، ولقد اضحت أقطار كثيرة في عالمنا الاسلامي لا يؤرقها ولا يقلقها سوى انتظار الكارثة.. من أين ستاتي؟ وكيف ستنفجر خزانات الأحقاد التي ستاتي على كل شيء. هذا فضلاً عما يجري، بالفعل، أمام اعيننا في بلدان كثيرة نتيجة تفشي هذه الأدواء.

لم نكن نسمع ابداً عما يمكن ان ينبىء بأن هذه المزايدات وتلك النعرات ستكون موضوعاً من موضوعات «الحج» الذي أخلصه الله لنسكه وجعله في بيته الشريف الذي وهبه القداسة والنزاهة والحرمة فقصره على ان يكون موئلاً لعباده المخلصين الذين يفدون إليه قانتين تائبين يرجون رحمة ربهم ويخشون عذابه.

وما من شك أن هناك، مع الأسف، أنظمة تدعي أنها اسلامية ولا تفتأ تحطب في حبل اعداء الاسلام فتعمل بكل جهدها وامكاناتها على أن تجعل من هذه البقاع الطاهرة ميداناً لممارساتها المشينة سواء عن طريق عناصرها المضللة من ابناء شعبها أو عن طريق من تستطيع أن تستهويهم وتغويهم من ابناء الشعوب الأخرى.

وفي العامين الماضيين أراد هؤلاء، بتصميم وإصرار، أن يحوّلوا مكة المكرمة إلى حمام من حمامات الدم التي يقيم لها اعداء المسلمين اعراسهم وافراحهم في كل مكان. وقد حاولت السلطات السعودية بكل ما اوتيت من حكمة وكياسة أن تستوعب مثل هذا الطيش، وأن تعالجه بالحسنى، ولكن يابى اعداء الله واعداء دينه إلاّ الاصرار على غوايتهم والامعان في تكريس اذاهم للمقدسات ولضيوف المقدسات انفسهم.

والمملكة العربية السعودية تدرك ان امامها مسؤوليتين كبيرتين لا يمكن التنازل عنهما او التهاون في شانهما: الأولى: وهي الذب عن سيادتها على اراضيها وعدم السماح لأي احد بامتهان تلك السيادة أو التدخل في شئونها بما يجعلها موضع أخذ ورد. والثانية: هي حماية المؤمنين الذين يهفون إليها ضيوفاً للرحمن، وفي بقاعه المقدسة التي

يدعوهم إليها من كل فجّ عميق.

ولا ريب في أن أغراض أمثال أولئك المخربين الضالين وأهدافهم لم تعد خافية على أحد. وأبرزها وأهمها تدنيس تلك البقاع وتعكير صفو الآمنين من المسلمين وافساد شعائرهم.. ثم بعد ذلك أو قبله يأتي الحقد الخاص الذي يضمرونه لأهل هذه البلاد ولقادتها ولسلطاتها. ولقد استمعنا لذلك بملء الفم والأذن من الجناةْ الذين تم إعدامهم قبل أيام من المجرمين الذين نفذوا جريمتهم الشنعاء في حج العام الماضي (١٤٠٩ هـ). إذ أكدوا جميعاً أن من دوافعهم الرئيسة اظهار السلطات السعودية مظهر الضعيف العاجز عن حماية المقدسات وحماية حجاج البيت العتيق من المسلمين!

وهكذا تتحول مكة نفسها إلى مكان للمزايدات السياسية والاحقاد التي لا تجد أبداً ما يبررها لا من عقل ولا من منطق ولا من تصرفات يؤاخذ عليها السعوديون - نظاماً وشعباً - لاسيما حيال الجهات التي تغذي هذا النَّفَس الشرير وتقوِّيه وتدعمه وتكرس له كل امكاناتها وقدرتها.

إن كل مواطن سعودي أو عربي أو مسلم يرفع رأسه اعتزازاً وإكباراً بأن استطاعت السلطات السعودية أن تكون - قولاً وعملاً - على مستوى المسؤوليات المنوطة بها إذ ردّت كيد الأعداء إلى نحورهم فأكدت للعالم أنها لن تتهاون في فرض سيادتها على أراضيها ولن تسمح لأحد - كائناً من كان - بالتدخل في مثل هذا الأمر المرتبط مباشرة بكرامتها وعزتها. كما أكدت للعالم بأنها - برجالها وإمكاناتها - قادرة على الضرب بيد من حديد على يد كل من يتورط في هذا المأزق فيريد بها شراً أو يريد أن يعكر على المسلمين من ضيوفها مناسكهم وعباداتهم وتوجههم الواحد إلى الله عزّ وجل.

لقد كان تنفيذ حكم الشرع (قبل اسبوع) في الفئة الباغية المجرمة، التي آذت المسلمين في أرواحهم، ولوّثت عليهم نسكهم، تأكيداً واضحاً لكفاءة السلطات السعودية، وهو قبل ذلك تأكيد لمصداقية تلك السلطات التي ما فتئت في بيانات رسمية متعددة خلال الاعوام الماضية تحذِّر كل من تسول لهم أنفسهم العبث بأمن البلاد وأمن الحجاج وتنذرهم بأنهم سيلقون العقاب الرادع مهما بلغ الثمن ومهما كانت التبعات.. ولو تهاونت السلطات السعودية مع هؤلاء ولم تنفّذ حق الله فيهم لأضحت مصداقية البيانات السعودية موضع تساؤل وشكّ، بل

أكثر من ذلك قد يتمادى الطامعون.. ويندفع المغرورون.. فتقوى شوكة الشر وتتحول بالفعل أرض مكة المكرمة وجميع المقدسات إلى ساحات لمعارك مجانية هوجاء تراق فيها الدماء البريئة دون أي مسوّغ من منطق أو خلق أو دين.

ولا غرابة - إذن - أن تجد الاحكام التي صدرت بحق هؤلاء الجناة صداها الايجابي الواسع المنتظر في كل البقاع المسلمة، لأن أمن مكة هو امن للمسلمين جميعاً، ولأن الأراضي المقدسة يجب ان تظل في منأى من العرقيات والطائفيات والمزايدات السياسية والخلافات الايدلوجية من أي لون أو نوع.

لقد وصل الأعداء إلى اقتناص كل نقاط الضعف في الجسد المنهك الذي لا ينذر إلّا بالتداعي والتهالك، وكان آخر تلك النقاط ما يقومون به، بكل تفانٍ و إخلاص، من إذكاء أوار العصبيات العرقية والمذهبية في عالمنا الاسلامي المغلوب على أمره، ولا نستطيع ان نقول إلّا أنهم قد حققوا النجاحات التي كانوا يبغون، ونظرة واحدة سريعة إلى الخارطة العربية والاسلامية تؤكد - مع الأسف - هذه النتيجة المؤلمة التي يندى لها الجبين ويبكي لها القلب. والاكثر وجعاً و إرهاقاً انهم غالباً ما يستخدمون (من أجل تحقيق هذه الغايات بتفوق وإتقان) ابناء المسلمين أنفسهم.. وكثير من هؤلاء لم يدرك بعد ان ما حدث في مكة في العامين الماضيين ما هو إلّا حلقة واحدة من حلقات الهدف الكبير في تفتيت كيان الأمة و إشعال الفتن بينها. لا بل إن بعض الانظمة التي تزعم انها إسلامية قد تكفّلت، هي وحدها، بتنفيذ هذا المشروع التدميري المشين، فهي لا شأن لها - و في اكثر من مكان - إلّا اشعال نار العصبيات المذهبية التي لن يكون من نتائجها إلّا ان تقود العالم الاسلامي كله نحو مصير أسود لا يعلم نهايته الفاجعة إلا الله الكريم العظيم، اللطيف بعباده الصابرين.

ولقد أراد هؤلاء ان يزجوا بمكة المكرمة (والأراضي المقدسة جميعاً) في هذا الأتون القذر لولا أن قيض لها الله حماتها المؤمنين برسالتهم المقدّرين لعظم مسؤولياتهم.

والسؤال الذي طرحناه في «اليمامة» هذا العدد (قضية الاسبوع) هو: كيف نستطيع ان نزرع الوعي في الأجيال المسلمة في كل مكان بأن مكة المكرمة والمقدسات قد استثناها الله سبحانه من بين مختلف بقاع الأرض بالقدسية التي كساها بها، وبالحرمة التي جلّلها بها، فهي

ليست ارضاً للخلافات أو المنازعات أو المزايدات، ويجب ان تبقى كذلك، وان نستثنيها نحن ـ كمسلمين ـ مما يمكن ان ينشأ بيننا ـ مع الأسف ـ من صراعات.

كيف يمكن ان نضع برنامجاً عملياً شاملاً، واضحاً ومدروساً، عبر مختلف المؤسسات المعنية (تعليمية وثقافية وإعلامية) لاعادة هذا الوعي إلى الاجيال المسلمة الجديدة؟ وما هي مسؤوليات المفكرين والمثقفين والحكومات في هذا الشان الجليل، وعلى المدى الطويل، في خضم النشاطات الملتوية التي تحاول ان «تغرر» بالكثيرين وان «تغيِّب» في وعيهم قدسية هذه البقاع وحرمتها التي أوجبها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم وسنة نبيه المطهرة فتستخدمهم لتنفيذ اغراضهم الخبيثة واهدافهم الدنيئة.

إنه ليظهر للملاحظ بوضوح أن على المؤسسات المعنية بالتربية والثقافة (في العالم الاسلامي كله) أن تضع التصور المنهجي اللازم لبرامج موضوعية تربوية، وتعليمية، وإعلامية مستمرة ولا تنقطع هدفها إحياء ذلك الوعي أو إعادة تكوينه، ولقد اعجبنا رأي بعض المشاركين في هذه القضية إذ اقترح إفراد دروس خاصة بالأرض الحرام في البرامج التعليمية في المدارس والجامعات.

لقد شارك في هذه القضية نخبة ممتازة من المفكرين في العالم الاسلامي، وهي قضية سيظل بابها مفتوحاً حتى تعود للديار المقدسة هيبتها في أذهان الغافلين، وحتى تضطلع جميع المؤسسات المعنية في جميع الاقطار الاسلامية بمسؤولياتها في هذا الصدد.

إنه برنامج ضخم.. ويحتاج إلى عزائم ضخمة.. وإرادات مخلصة.

وإننا بهذا سنسهم ـ كمسلمين ـ في صيانة أرض الله من طيش العابثين، وحماقات الحاقدين. وسنعمل على حماية الشباب. القابل للتغرير، من الانخراط ـ دون وعي أو ادراك ـ في ممارسات مشينة تسيء إلى الدين والعقيدة، يدفعهم إلى ذلك بعض المغرضين من ضعيفي الايمان وممن لا يريدون لعالمنا الخير ولا يتمنون لأمتنا الاستقرار والوحدة والتآخي والحب.

لقد قلنا إن الباب لازال مفتوحاً.. ولابد من الاستماع إلى آراء اخرى مؤثرة، ولابد ـ بعد هذا كله ـ من الوصول إلى الغايات المبتغاة كيلا يكون تنظيرنا «مجرد كلام».